كفر الذرة

جمال شاهين



جواهر القصص

حجر القمر

٧

جمال شاهين

٢٠٢١

كفر الذرة

كفر الذرة

كفر الذرة قرية ليست صغيرة ولا هي مدينة كبيرة وسكانها فلاحون ، منهم من يزرع القمح والشعير والذرة ، ومنهم من يهتم بالأشجار ، وبعضهم رعاة .

أما الحرف الصناعية لا محل لها في كفر الذرة ، انها يذهبون للمدينة الكبرى التي تبعد عنهم مسيرة نصف يوم لإصلاح أدوات الحرث والحفر والطبخ وشحذ السكاكين وشرائها وتصليحها وشراء المعادن والفخار والفوانيس والثياب والحبال .

والناس في القرية يتبادلون السلع تبادلا دون نقود .. النقود لا يتعاملون بها إلا في ذهابهم الأسبوعي للمدينة الحمراء سيدة القرية والقرى المحيطة بها .. هناك يذهبون لبيع الزوائد من الاجبان والألبان والحيوان والثياب .. فيعقد كل جمعة سوق كبير لأهالي القرى المجاورة يتوافدون اليه .. يتحرك أهل الريف لتلك المدينة قبل طلوع الفجر بساعات ، فبينهم وبين الحمراء نصف نهار .. وهذا كل سبعة أيام .

وهذه القرية كسائر القرى لا يوجد فيها مطاعم ولا فنادق واماكن لهو ؛ لكن شيخ القرية الكبير " العم خسة " جلب لقريته شيخا هرما يدعى الشيخ قمع ثرثار يروي الاخبار والاعاجيب والحكايات الغريبة وقصص الجان ، عرفه شيخ القرية في سوق المدينة ، وسمع بعض ترانيمه فأعجبه حكيه وقصصه فشجعه للإتيان للقرية يسامر أهلها ويحدثهم من اعاجيب حكاياته ، فمشى مع العم خسة ، واستوطن القرية وعندما يرجع الفلاحون من فلاحاتهم وزراعاتهم ليلا يتجمهرون في دار الضيافة عند العم خسة فيأتيهم قمع من خشته المجاورة لبيت خسة .. فيجد القوم قد اشعلوا النار واحضروا بعض الطعام والفواكه وتربع الشيخ قمع على مصطبة صغيرة وبعد أكله لشيء من الفاكهة يروي لهم حكاية من حكاياته واسطورة من أساطيره وخيالته مما تلذ له الآذان وتشتاق إليه النفوس غراما ، وكان يحضر مجالسه بعض الفتيان الصغار للسمر ولحبهم سماع القصص ، ولما يرجع الشبان والفتيان للبيوت يحدثون الفتيات والامهات خرافات قمع .. وقضى قمع هذا ثلاث سنوات بين أهالي قرية كفر الذرة يروي لهم الحكايات وخرافات

ملوك الجان والشياطين فقد سحر الشباب في تلك الروايات وسحر قلوب الكبار قبل الصغار فكان تسلية هامة لهؤلاء الفلاحين .

كان قرب كفر الذرة جبل شاهق لعنان السماء ، وشاق التسلق ، وكان يعلوه غابة سماها الناس لعلوها غابة الجن .. وكان قمع عندما يحدثهم عن الجن والعفاريت والشيطان يزعم لهم ان هذه الغابة في قمة الجبل مسكن لقبائل الجن العظام .. فتحمس بعض الشباب للوصول لغابة الجن من كثر ما أكد لهم قمع هذه الحقيقة ، ولكنهم ذهبوا إليها ، ولم يرجعوا ، فيزعم لهم قمع أن الحياة طابت لهم مع ملكات وأميرات الجن ، ونسوا أهاليهم.. وشاع بينهم أيضا أن الجن قتلتهم لدخلوهم ارض الجن المحرمة على بني الانسان .. وزعم البعض أن الجن ستعيدهم في يوم الايام . وكان في القرية ثلاثة شبان اعجبتهم حكايات الجن وارض الجن وملكات الجن فرغبوا بالصعود الى قمة جبل الجن .. وكانت أعمارهم دون العشرين ، وسمعوا كل حكايات قمع عن جمال وحسن وثراء الجن والجنيات ، فاشتاقت نفوسهم لاقتحام غابة الجن ، فاتفقوا على المسير للغابة معا ومعاشرة الجن بإحسان ، وهم لوز ، وبلوط ، وخوخ ، كان أهل القرية يسمون ذراريهم بأسماء النبات والشجر والفاكهة والحيوانات الاليفة لهم ، اتفق لوز وبلوط وخوخ على الصعود لغابة الجن ورؤية هذا العالم الخفي الذي اكثر قمع من الحديث عنه امامهم وامام سكان القرية من فلاحين ورعاة.. وكانوا متفقين على عدم أخبار أهليهم وأقاربهم عن هذه الرحلة الخطيرة حتى لا يحجبونهم عنها خشية ضياعهم كما ضاع الذين من قبلهم .

وفي الصباح عندما ذهب أهل القرية لمزارعهم وأشجارهم ودوابهم تحركوا الى الجبل، وقد تزود كل واحد منهم بطعام وماء ، وبدل أن يذهب كل واحد مع أهله للعمل اجتمعوا في درب يصعدون منه إلى اعلى الجبل .. ولما اشرقت الشمس كان يدرجون علوا لأعلى الجبل وبعد قطع مسافة صعودا ادركهم التعب ، فجلسوا يستريحون ويأكلون ويسمرون .. وبعد استراحة يسيرة تابعوا الصعود ، ولما غربت الشمس كانوا قد قطعوا نصف الطريق كما ظهر لهم فقد قربت منهم الغابة .. وبعد استراحة أخرى تابعوا الصعود واقتربوا من الاشجار العالية التي تملأ صفحة

الجبل .. ناموا بعض الوقت، ثم استيقظوا وساروا الى اعلى، وفي منتصف نهار اليوم التالي كانوا على قمة الجبل العالي ، والقوا أجسادهم المنهكة من الصعود تحت ظل شجرة ترتفع في السماء عاليا ، وذهبوا من التعب والوصب في سبات عميق .

لوز

لما استيقظ لوز من نومه أو غفوته بعد تعب الصعود لجبل الجن وجد نفسه في غرفة واسعة ذات الوان ساحرة ووجد نفسه نائما على سرير اصفر ونوافذ مغطى بستائر حريرية بل وجد نفسه مغطى بغطاء رقيق تفوح الرواح العطرية منه فاغمض عينيه من جديد معتقدا انه في حلم عجيب .ثم اعاد فتحهما من جديد وقال لنفسه " أين أنا ؟!"

همس محدثا نفسه : هذه غرفة جميلة وذا سرير لم أره في حياتي في بيت أبي ، هكذا كان يقول ، ازاح الغطاء عن بدنه وجلس وهو يعيد " أين أنا ؟.. ألم نكن نتسلق الى جبل الجن ؟ .. اوصلنا بلاد الجن ؟ .. يا الهي .. رحماك .. وجد مائدة صغيرة في الحجرة وعليها ابريق المشروبات والماء فمشى إليها مدهوشا .. ما ازكى رائحتها يا لوز !.. لابد أنك وصلت لبلاد الجن .. أين رفاقي ألم نطرح أنفسنا تحت ظل شجرة نائمين ؟ أين خوخ وبلوط ؟ .. تجرع كوب الماء " أنا عطشان " .. يا الهي ما الذ هذا الماء الفرات! .. عسل كأنني أشرب ماء بالعسل .. هذا عصير البرتقال واتبعه الماء .. ليت الكوب أن لا ينتهي .. ما هذا ؟ .. عصير توت لابد من توت .. شكله توت لكنه عصير من الجنة .. وهذا عصير الليمون .. وظل يشرب ويشرب حتى لم يبق في الأباريق شيئا وقال : لقد كان الجبل متعبا .. اين الرفاق ؟ لعلهم في غرف أخر .. مشى حيث النافذة وأزاح الستائر ورأى الشمس والفضاء وأشجار القصر الباسقة .. قصر .. أنا في قصر .. لمن هذا القصر أيها الإنسان ؟ .. ما اكثر الاسئلة ؟ أين أنت يا قمع ؟ ما احلى المكان !.. ها هي الطيور الملونة تتنقل على اغصان الشجر .. ها هو نسر يحلق في الافق ..يا الهي أهذه بلاد الجن يا عم قمع كيف يفكر بالعودة والرجوع للقرية من يعيش هنا ؟ أيترك الجنة إلى النار ؟ هل عاش قمع في هذا المكان ؟ ولماذا هجره ليعيش بين الفلاحين والرعاة؟! سمع طرقا على الباب ودخلت جارية

صغيرة في غاية البهاء الثياب والبدن فقالت : مرحبا بالسيد .. لقد دخلت بلادنا الجميلة .. وهذا قصر الأضياف فأهلا وسهلا .

ـ اين انا ؟

ابتسمت ابتسامة ساحرة وقالت : أنت ضيف في بلاد الجن .. وجدك الجن على جبل الجن فاتوا بك إلى هنا أيها الإنسان .. سأذهب بك الآن للاغتسال والتطيب ؛ لتذهب إلى حجرة الطعام لتأكل طعام الجن يا انسان .. هيا اتبعني .

تبع الجارية لدار الأضياف ؛ حيث الحمام لإزالة أوساخ الرحلة ، ومسك به غلام الحمام وقال له : مرحبا بضيفنا العزيز اذهب إلى ذاك المرحاض واقض حاجتك وعد اليّ .

ذهب للمرحاض وعاد للحمام فادخله الغلام ؛ حيث الاغتسال ، وجرده من الثياب ودفع إليه وزرة يغطي بها عورته المغلظة ، وقام بتنظيفه وتلميعه ساعة من الزمن ، ثم انتقل إلى مكان غسل بدنه وحده ، ثم دفعت له ثيابا لم ير مثلها في حياته ، ثم جاء خادم وأخذه الى مطعم دار الأضياف وقدم له ما تشتهيه النفس وتلذ له العين . ولما اكل ما لذ وطاب ساقه خادم إلى حيث كان في الحجرة التي استيقظ فيها وقال " نم قرير العين" وكان الليل قد هبط ، وبعد ابتعاد الخادم وجد أن الباب مغلق ، فعلم أنه غير مسموح له التمشي في القصر ، واكتشف بابا خلف احدى الستائر المزينة الحجرة فدخله فقاده إلى مرحاض وغرفة صغيرة مليئة بالأطعمة والفواكه والماء وفي الصباح التالي جاءته الجارية وساقته الى مطعم القصر لتناول الإفطار ، ولما انتهى منه أوصلته للغرفة الخاصة به وقالت : وقت الغداء نلتقي .

ولما انقضت الايام الثلاثة في بلاد الجان ، ساقوه إلى محكمة الجن ، وهناك عرف أنه اعتدى على ارض الجن بدخول جبلهم ، فقضت عليه المحكمة الحبس في قصر الأضياف سبعة أشهر، ثم إعادته لكفر الذرة حيث بلاده التي ذكرها امام المحكمة ، اعيد لقصر الاضياف لقضاء مدة الحبس في ضيافة بلاد الجن . بعد حين راودته نفسه بالهرب من قصر الاضياف والاختفاء في مدينة الجن .

اما الرفيق الثاني الفتى بلوط فاستيقظ من نومة الغابة فوجد نفسه في قاع بئر جافة ، فدهش لما وجد نفسه في قاع البئر وعتمته ، وتذكر نومه تعبا في غابة جبل الجن ، ولما تمالك حواسه ادرك أن الجن حبسته في هذا البئر ؛كما كان يسمع العم قمع يخبر . تطلع إلى السماء فادرك أن الشمس على وشك الاختفاء خلف الجبال . فأخذ بالصياح والاستغاثة ؛ لعل احدهم يسمعه وينقذه ، فإن لم يخرج منه سيموت جوعا وعطشا ويا لها من موتة وخاتمة !

وبينما هو يصرخ ويولول ، وقد ضعف صوته سمع صوتا في اعلى البئر فقال : يا صاح انقذني بالله عليك .

رأى دلوا تهبط إليه وسمع صوتا يقول : هذا طعامك أيها الأنسي .

ـ ولما أنا هنا ؟! ماذا جنيت يا هذا ؟

ـ افرغ الدلو مما فيه .. سينظر في امرك القاضي بعد أيام .. أنت اعتديت على ارض وجبل وأملاك الجن . وابتعدت الأقدام ، وانشغل بلوط بأكل وبلع ما قدم من اكل وشرب الذي هو عبارة عن ماء وخبز يابس وجبنة يابسة أو قديمة .. ولما انتهى من الطعام وشرب القليل من الماء قال : ألا سبيل للخروج قبل المثول بين يدي قاضي الجن ؟ .. هل سيقتلونني لأني وصلت جبل الجن ؟ كيف سيقتلونني ؟ كيف سأخرج قبل فوات الوقت ؟ لماذا غامرت هذه المغامرة ؟ ألم أكن مرتاحا في بساتين أبي وأعمامي ؟ لعنة الله عليك يا عم قمع أنت السبب .. شوقتني للحياة مع الجن والجنيات والذهب والخيل الطائرة .. ها أنا اقبع في قاع بئر انتظر ما يحكم عليّ .. يا الهي رحماك !.. لقد جننت وطاوعت الشباب .. أين هم ؟ اجعل كل واحد في بئر ؟ الانسان يحب الطمع والمغامرة .. اشتد الظلام وزادت الحلكة في البئر .. وبدأت الوساوس السيئة تتوارد على ذهن بلوط والأوهام .. تخيل الافاعي تخرج من جحورها للنيل منه وابتلاعه .. شعر بالحشرات تتطاير من حوله .. ظهر صوت الصراصير حول البئر .. سمع عواء الكلاب وإنها تقترب من باب البئر .. قضى ساعات في هواجس رديئة حتى غلبه النوم وقال " هي موتة واحدة ولابد

منها "

وراح في نوم عميق فما زال تعب صعود وتسلق الجبل يتعبه ؛ كذلك خيالات الرعب والأفاعي أنهكته فلم يستيقظ إلا على صوت حارسه ينادي صائحا عليه ، فلما استيقظ انزل إليه دلو الطعام وقال : نصيبك هذا الصباح . ولما رفع الدلو اختفى الحارس سريعا ،وربما يلعن اسيره في سره الذي اقلق راحته وهو يقول لنفسه " متى اخلص منه ؟ ما الذي مكر به ليصعد الى جبل الجن الشاهق الى عنان السماء ؟ الانس لا يعجبه العجب ، يهوى التعب والغم والنكد . بعد مضي ثلاثة أيام بلياليها قضت محكمة الجن على الشاب بلوط بسبب دخوله جبل الجن بأن يكون رقيقا للحداد عسيران ، فاستدعي حداد الجن عسيران من محددته وابلغ بقرار القاضي ، والسبب أن هذا الحداد قد قدم طلبا للقاضي منذ عهد قريب بحاجته لعبد يعمل معه بعد هلاك رقيقه الحداد فاستلمه من القاضي شاكرا ، وممتنا له ، وأنه حقق وعده له بتقديم أول اسير من الانس ليعمل معه بدلا من معاونه الأنسي الهالك ، وبعد قبضه للأسير بلوط بيده قال الحداد للقاضي : كم سيمكث عبدا ؟

قال القاضي : حتى تموت أيها الحداد ؟

ـ سيقتلني يا مولاي ليسترد حريته .

ـ سيموت لو فعلها .. على كل مدة الاسترقاق متروكة لك على أن لا تقل عن عشر سنوات

فالتفت الحداد للأسير : أسمعت حكم مولانا القاضي ؟.. فأنا الذي أحررك وأعيدك لكفر الذرة .. اياك والهرب والا ستعود للبئر حيث كنت محبوسا.

قبل بلوط يد الحداد وقال : أنت سيدي ومولاي ، وأنا عبدك ورقيقك ستجدني لك طائعا ولأمرك ملبيا ومنفذا .

ربت الحداد على كتفه وهتف : نعم الفتى أنت .. هيا .

اخذه الحداد لبيته وأمر زوجته بإعداد الماء الساخن لأسيرهم الجديد ليستحم من قذارة البئر ، وشرح له دوره في الحياة ، وقضى ليلته الأولى ضيفا عند الحداد ، ومع طلوع النهار ساقه الحداد

الجني إلى مكان عمله وأمره بإشعال النار ووضع الحطب فيها .. وبدأ يشرح له ما عليه القيام به من صقل السيوف والمدى والدروع والزرد ورؤوس الرماح والفؤوس الحربية .. في الصباح حتى اول الليل العمل في المحددة ، وفي الليل في بيت الحداد في حجرة خاصة في بستان الحداد ، وكان شريكه فيها عامل البستان، وهو رجل انسي أسير مثله ، ووصل لسن الستين اسمه بهادور فهو من بلاد العجم . وعلم منه أنه كان خادما لوالد الحداد عند دخوله لبلاد الجن ، ولما هلك والد عسيران ورثه عنه فله أسير اكثر من ثلاثين سنة من أيام الشباب والمغامرة . نادت جارية للحداد على بهادور ، فقال لصديقه : هذا وقت العشاء .. فها هي الجارية دلال تنادي .. فذهبا وجلبا الطعام وعلى المائدة جلسا يأكلان ويتسامران ، وعلم بلوط من صاحبه أن للحداد بنتا واحدة ، وهو محروم من الذكور ، وله هذه الخادمة دلال وللسيدة الصغيرة جارية شابة مثلها اشتراها لها الحداد عندما ولدت ابنتها جمال السماء ، وهي اليوم شابة تقترب من العشرين ، وأن الحداد مغرم بها غاية الغرام ولا يفكر بنكاحها لحبه لها هو وزوجته . اشتاقت وهفت نفس بلوط لرؤية ابنة الحداد الجنية الصغيرة ، واعلمه البستاني أنه لا يستطيع ذلك إلا في النهار حينما تخرج للتنزه في البستان ،وتأكل وتلقط الثمار عن الأشجار ، وبلوط يخرج قبل صحيانها ويعود في جنح الليل ، وقال له الشيخ بهادور : قد تسمح لك الليالي والايام برؤية تلك الجنية الفاتنة .

لقد أصبح لدى بلوط شوق لرؤية ابنة الجني عسيران ، لذلك كان يتحين فرصة تتاح ليمتع النظر من الجنية الصغيرة ، وكما علم من بهادور فمن الصعب مشاهدتها ليلا فهي لا تخرج خشية خطفها من احد فرسان الجن الذين يزيد انتشارهم في الليل .

تعلم الحدادة أو مبادئها الأولية ، وسر منه سيده عسيران وارتاح له وقال له مشجعا : اذا بقيت بهذه الهمة ستصبح معلما كبيرا ومهما في بلاد الجن .

ـ انت يا معلمي اين تعلمت هذه الحدادة ؟

ـ نحن نرث المهنة وراثة يا معلم بلوط .. وبما انني لم الد ولدا ذكرا يرث مهنتي سينتهي خبر سلالتي مع الحدادة .. إلا اذا تزوجت ابنتي الوحيدة من سلالة حداد وانجبت الابن الذكر

فيرث العائلتين .

ـ الا يؤذن بالزواج من نساء الجن ؟

ـ هذا صعب وفيه بأس على الذرية .. أين سيعيشون في بلاد الانس في بلاد الجن؟ .. لذلك لا تطمع نفسك بالاقتران ببنات الجن .. اذا صبرت معي ، وظللت عاقلا ، سأحررك عند العشر سنوات وتعود لبلاد كفر الذرة .

ـ سأصبر يا سيدي واكون التلميذ المخلص لك يا سيدي .

ـ ارجو لك ذلك .. لقد خان الكثير من الإنس عندما واطأوا بلادنا وتعرضوا للأذى من الجنون والموت .. فقضاتنا لا يرحمون الخونة ..

قال : سأبذل جهدي لأكون لك صديقا يا سيدي عسيران ! وارضى بقدري

ـ هذا خير لك ايها الشاب .. وخير لأهلك ، قد تعود لهم يوما من الايام .

قال : أتبعد كثيرا هذه البلاد عن بلاد الانس ؟

ـ قد تحتاج لسنوات للوصول لأول بلاد الإنس .. نحن لولا خفتنا وقدرتنا على الطيران كالطيور ما نصل لبلاد بني آدم .. لقد طلب منا قائد من قادة الجند صناعة ألف سيف يا بلوط وسيؤمن لنا معدن الحديد لصناعتها .. فأمامنا شغل جيد

قال : كم من الوقت تحتاج منا يا سيدي ؟

ـ حسب همتنا ، وأقلها ستة اشهر وعلى الاكثر سنة .. وسيكون لك مكافأة على كل سيف يتم إنتاجه .. واذا ابدعت سنكرر العمل مع قائد اخر .

قال : ستجدني كما تحب وترغب .. واصبر هذه السنين حتى ترد لي حريتي وتعيدني لبلادي واهلي .

ـ سأفعل اذا أحسنت صحبتي ، وكنت كما أرجو ايها الشاب الصغير .. كيف أنت وبهادور ؟

قال : هو رجل شيخ كبير .. وأنت تحتاج لبستاني أصغر سنا منه .. فالبستان يحتاج لشغل وتعب يا سيد عسيران

ـ أتطمع أن تعمل مكانه ؟

قال : لا أستطيع العمل في مكانين .. لكني ادعوك للبحث عن اسير جديد ليساعده يا سيدي فهو قد بلغ من الكبر عتيا .

ـ قد لا يسمح لي القاضي بأسير آخر .

قال : عندي ترتيب اخر

ـ ما هو ؟

قال : أن تسمح لي بالعمل معه يوما في الاسبوع أساعده وأحفر معه وأسقي معه .. كل اسبوع يوم واحد .

ـ فكرة جديرة بالنظر ايها الشاب الذكي .

خوخ

استيقظ الشاب الثالث الغازي لجبل وغابة الجن فوجد نفسه طريح الصحراء ، فظن للوهلة الأولى أنه يستيقظ من منام ، ثم وعى للأمر وأنه في جوف الصحراء ، ووعى أن الجن انتقمت منه لاقتحامه الغابة مع رفاقه تطلع يمينا يسارا قريبا بعيدا باحثا لم يجد إلا نفسه .

فنهض قائما واتخذ دربا فإما أن يهلك ويموت عطشا وجوعا وإما تكتب له النجاة .. ومن حسن حظه وجد في قربته بقايا الماء فبلل شفتيه ، ومشى نحو المجهول ، وتابع المشي رغم دخول الظلام على الصحراء لكن ضوء القمر والنجوم ساعده في اجتياز مسافات حتى وجد نفسه قبيل الفجر عند بئر ماء ؛ حيث وجد الأغنام والرعاة فارتوى من الماء ، وملأ القربة وسأل الرعاة عن أقرب المدن لهذه الصحراء حتى أن احدهم قال : أنت لست من الجن ؟

قال : لا ، أنا من بني آدم أريد مدينة الجن .

ـ ولماذا أيها الإنسي ؟

قال : احمل رسالة لملكهم .. ألستم من رعاة الجن ؟

ـ بلى .

قال : أين أسير للوصول لمدينتكم ؟

قدموا له حمارا وقالوا : اركب هذا الجحش أيها الرسول وستصل لبلاد الجن .

شكره خوخ وارتقى على متن الحمار وتابع سيره وسمع احدهم يقول : كيف وصل لهذه الأرض غريب .. يبدو أن احد الجن تركه هنا ليدخل المدينة ماشيا على اقدامه .. هل سيعود حمارنا ؟

قال : اذا لم يتعرض للوحوش سيعود .. فسيمرون على طرف غابة عربان وهي لا تخلو من السباع .. نتمنى لهم النجاة والسلامة .

وظل الحمار يسير براكبه حتى دخل الليل وصلا اطراف المدينة ، والله سلم من لقاء الوحش .. وعند نصف الليل وجد خوخ نفسه في الاماكن المعمورة .. فنزل عن الحمار وساقه لعين الماء وشربوا جميعا ثم اخلى سبيله وكر الجحش عائدا إلى أطراف الصحراء حيث الرعاة .. الذين لما شاهدوا حمارهم حيا ادركوا ان صاحبهم نجا من غوائل الطريق للمدينة فحمدوا رب البرية على ذلك .

اما صاحبنا خوخ فقضى بعض الوقت نائما قرب العين حتى فاجأه رجل فايقظه فقال : ألا تعلم أنه لا يجوز الاستلقاء هنا ؟

قال : أنا غريب ، وجئت من بلاد الانس

ـ أنت إنسي وماذا تريد ؟

قال : ابحث عن عمل وشغل في بلاد الجن .

قال : أتعمل معي أيها الفتى ؟

قال : ماذا تعمل أنت ؟

قال : أنا فران وجئت اخذ بعض الماء للعجين .. ولدي مكان لعملك ومنامك

ـ سأجرب العمل معك أيها السيد .

قال : اسمي فلوان الفران ومخبزي قريب من هذه العين يا انسان

قال : وأنا اسمي خوخ من بلاد كفر الذرة

وقص عليه قصة قمع ومغامرة جبل الجن ، وحمل خوخ دلو الماء عن الخباز وتبعه إلى مخبزه القريب من عين الضبع .

لوز

تركنا لوزا وقد حكم عليه بالسجن في مدينة الجان وحبس في قصر الضيافة ريثما يرحل إلى احد سجون المدينة أو يسترق لاحد الأسياد ، قضى اياما في محبسه وهو يفكر بالهرب قبل ان يؤخذ من القصر .. فذات ليلة بعد معرفته للمكان بشكل جيد من خلال نافذة غرفته ..فبعد نصف الليل بوقت يسير هبط من النافذة بواسطة بعض الثياب التي وجدها في الغرفة وحولها لحبل ، ونزل بواسطتها الى ارض البستان وتسلل نحو الجدار المختار وتسلق على الأشجار ومنها إلى السور ثم تعلق بالسور وألقى بنفسه على الأرض وهو يحسن القفز والتسلق من صباه حيث الشجر ومطاردة الطيور .

وابتعد عن القصر مئات الاذرع ثم اخذ يركض في الظلام حتى دخل المدينة التي عرف مكانها من الخدم في قصر الأضياف ، وصعد أحد الجبال المطلة على المدينة ، وقرر الاختفاء بين الجبال والغابات بضعة أيام حتى يخف ويضعف الطلب عنه .

ونفذ ما خططه ثم مشى إلى احدى المزارع البعيدة وعرض نفسه على صاحبها أو وكيل صاحبها وزعم له أنه أتى من بلاد الانس للعمل في بلاد الجن ، فعجب الرجل من جسارته ورحب به ، وكساه ثياب الفلاحين ،وكلفه بالعمل معهم .

وقضى اشهرا يعمل مع عمال المزرعة ، وكان يساعد في رعي الاغنام وحلب الأبقار حتى أن وكيل المزرعة وعده أن يقدمه للأميرة لعلها تنقله للخدمة في احد قصورها ، ففرح لوز بهذا الامر واخذه الشوق والولهة لرؤية الاميرة الجنية .. وقد وجد بعض الانس يعملون مثله مع فلاحي الجن .. إما دخلوا بلاد الجن بالخطأ أو اعتدوا على أملاك الجن فجيء بهم إلى هذه المدينة اسرى ورقيقا أو خطفوا من بلاد الإنس رغم أنوفهم .

طاب له المقام في تلك المزرعة وزاد شوقه لرؤية مالكة هذه المزرعة وغيرها ، فاخبر أنها تأتي

المزرعة في الصيف لقضاء بضعة أيام ثلاثة أو خمسة ثم تختفي للموسم القادم ، ووكيلها هو الذي يرسل لها الفواكه وغيرها بالعربات ، وقد عرفها لوز وحمل الكثير منها ، وذات صباح طلب منه سيد المزرعة صحبة الرعاة لعدة أيام لأن موعد ولادة الكثير منها قد اقترب .. وليست هي أول مرة خلال هذه الأشهر يرافق الرعاة إلى حيث المراعي .. وقضى سبعة أيام بصحبتهم ، ولما قفلوا عائدين علم الشاب أن الأميرة زارت السيد واطلعت على نشاطه وجهده ،ولم تطل إقامتها يوم وليلة فقط .

فاغتاظ لوز من سيده وعاتبه بذلك فضحك الرجل : لم أعلم أن الأميرة ستأتي إلينا فبعد سفركم بيومين حضر رسولها ولم يكن لدينا وقت لطلبك وهي ايضا كانت في عجلة لأن أختها ستحتفل بزواجها .. سأسعى لك للعمل في قصر الأميرة إما مزارعا أو راعيا أو خادما .. فهي تطلب منا مثل ذلك .. بدل الذين يموتون يكبرون يضعفون بسبب المرض والسن والحوادث .. وأنت خير من يعمل في قصرها .. فاذا أرسلت في طلب أي صنف ستكون أولهم تابع عملك بنفس الهمة التي عهدتك عليها يا ولدي يا لوز .

ـ ابشر أيها السيد .

ارتاح الحداد عسيران للشاب النشيط بلوط ، وأعجب بفكرته مساعدة البستاني بهادور يوما في الأسبوع ، وترك له اختيار احد أيام الاسبوع ليعمل في بيته وأرضه ، وشكره البستاني على هذه النخوة والهمة ، واعترف له بكبر سنه ووهنه عن الحفر حول الاشجار وزراعة الحبوب والبقول وبذل الشاب همته ونشاطه ، فهو فلاح قروي ابن فلاح ، فالزراعة حياته ومهنته منذ الصغر .

لقد رأى الجنية جمال السماء بنت الحداد عندما تنزل البستان آخر النهار للتفرج على الطيور والأشجار والأزهار والثمار ، ويقطف لها البستاني ما تختار من الاثمار .. وبعد تجوال تجلس تحت احدى العرائش ، وترافقها في بعض الأيام الجارية إن لم يكن لها عمل تلك الساعات في داخل البيت .. وبعد حين تعرفت على الشاب بلوط مساعد بهادور .. وهي تعرف بوجوده وأنه أسير والدها في دكان الحدادة ، وأعجبت بشهامته وحبه وشفقته على العجوز بهادور .. وكان العجوز

يرسله بأطباق وسلال الفاكهة التي استحسنها للسيدة ؛ حيث تجلس في عريشها ، وأحيانا يجد أمها تصاحبها ، فيدع الأطباق وسلال الفاكهة وينصرف سريعا جهة بهادور ، ومضى على هذا الحال شهور وشهور ؛ ولكنه بدأ يلحظ أن الفتاة الجنية كانت تحرص على النزول في يوم عمله للبستان ، وتطيل المقام على غير العادة كما فهم من بهادور .. وظل يمثل دور الجاهل والساذج ويقلل من الكلام معها .. حتى بدأت تأنس به ولوجوده حتى أن الحداد الجنى اخبره أن ابنته تطلب منه زيادة يوم آخر لمعاونة الشيخ بهادور .. فمنذ بدأ يعمل معه ضعفت همة الرجل عن العمل ..فاصر بلوط على العمل يوما واحدا في الارض وستة في المحددة .. فازداد الجنى له حبا لأنه من الصعب الحصول على أسير آخر تلك الأيام .

أصبح بلوط متقنا لعمله مع الجني ، ويعرف أهم الأعمال المطلوبة ، ومضت سنتان على هذا الحال ، وأخذ اسم بلوط يبرز بين الحدادين .. وزاد القرب بينه وبين ابنة الحداد ، ويطول بينهم اللقاء حول الزراعة والشجر والحدادة ، وأخذت تهتم بعمل والدها .. واخذ الجني يخشى من تطور الأمر بين وحيدته والأنسي ، ويتحسس ذلك ؛ ولكنه يهدأ لما تطمأنه الزوجة عن حسن سيرته ، ولم تلحظ بينهما أي ود فوق السيد وخادمه .. وكان الحداد يخشى تعلق ابنته ببلوط .. فهو يثق بغلامه ومن الصعب أن يتطاول على سيده ؛ لكن اذا فتحت فتاته المجال للشاب فربما يحدث بينهما ما لا تحمد عقباه ، ففتاته أصبحت في سن الزواج .. وأحس بأنه تسرع بنقل الشاب للعمل في البساتين فقد ضعف بهادور لآخر درجة ، فجل اعتماده على عمل بلوط وطابت له الراحة ، فكان بلوط يعمل عمل أسبوع من نشاط البستاني .

إذن هناك هواجس وقعت في قلب الحداد عسيران من تصرفات وحركات فتاته ، وكثرة حديثها عن بلوط ومدحه وذكاء الانس وفطنتهم واتقانهم للعمل .. حتى أنها صارحته ذات ليلة سائلة " لماذا لا يتزوج الجن من الإنس يا أبي ؟".. إنها تفكر كما تفكر الاناث .. وهي لا ترى من الرجال إلا هو والبستاني الهرم والشاب بلوط .. فيبين لها اختلاف جنس الجن عن جنس الانسان كما لا يتزوج الانسان والجن من الحيوان كذلك لا ينكح الانس الجن .. وأخذ عسيران

يفكر بزوج لها قبل حدوث عشق بين فتاته وأسيره .

كان بلوط متعلقا ببنت الحداد ؛ ولكنه كان يعيش بين الخوف والصبر، ويرى صعوبة الزواج منها قبل أن تبدأ هي .. فهي جنية ووحيدة الأب وهو عبد أسير لأبيها .. فترك الأمر للأيام واحس بأن الفتاة تميل إليه ، وهي مثله قلقة ومترددة في عشقه والغرام به رغم ما تتكلم به العيون وبعض الكلام .. فهي لابد أنها تخشى على حياته من غدر أبيها .

الأميرة

كان الشاب لوز متلهفا لرؤية الأميرة التي يعمل مع أعوانها زاعما الطمع للعمل في قصرها والقرب منها ؛ لعلها تعطف عليه بالعفو وتخرجه من مدينة الجن أو ترخص له بالزواج من نساء الجن بسلام وأمان ، لذا حينما حضرت للنزهة وقضاء أيام في قصر البساتين ، كان قيم الأراضي يرسل لوزا بالفاكهة لقصر الأميرة ، ولما انتهت المدة استطاع الشاب أن يلحق بها لحاجتها لأسرى يخدمونها في قصرها في المدينة ، وفتن الشاب بالقصر والجواري ، وحلم بأن يكون زوجها فهي من غير بعل .

بعد حين زاراها شقيقها الأكبر نور الدنيا ، وبصحبته الأمير شمس الأسمر ابن عم لهما ، وتبين لها أنه قدم ليخطبها ويتزوجها، فرحبت به ، وبشفاعة شقيقها الأكبر ، وطلبت مهلة للرد .

فقال الشقيق : أيتها الأميرة بلسم الزمان حبيبك نور الليل تزوج الملكة شفق السماء ، ولم يرفض عرض الملكة ونسيك .. وابن عمنا شمس الأسمر قبل بك لصداقتنا ومصالحنا

قالت : نعم الصديق أيها الأمير ! لم اشف بعد من خيانة نور الليل ، ومع غدره يتودد إليّ يا ابن أبي فهو قد ندم من تركي وهو عبد ذليل للملكة شفق فلها عشاق وزعم أن الملكة أجبرته على نكاحها وهددته بقتلي ولم ترحم وتشفق على حبنا

قال شمس بحدة : كذب أيتها الأميرة ! قارن بين ملكة ومجرد أميرة .. هفت نفسه للملك وأن يقال زوج الملكة .. أمير قبيح .. لها عشاق.. أين أسرتها؟

قال نور الدنيا: هذا كلام الغادر لم نسمع به

قالت : هذا ما اخبرني به من عهد قريب

قال شمس : احذري أن تعلم الملكة بتودده إليك

قالت : افكر بالرحيل إلى قصري وأرضي

نور الدنيا: الأفضل الزواج بأسرع وقت من ابن عمنا ، فيختفي نور الليل من حياتك فيعلم الجميع انك نسيته وانتهى من حياتك

قالت : وهل يحميني الزواج من غضب الملكة ، فهي تعلم حبنا وغرامنا أيها الأعزاء

نور الدنيا: عندما تصبحين زوجة سيكف من التودد إليك

قالت : دعوني افكر بروية وتأني

شمس الأسمر: إلى متى؟ أسبوع .. شهر

قالت :سأرسل لكما

شمس الأسمر: رأيت إنسيا أمام القصر

قالت : نعم ، دخل البلاد ، واسترقه القيم واحضره لخدمتي مع الأسرى الآخرين .. وجدوه في غابة وجبل الجن، وهو صغير العمر

نور الدنيا: لي زمن لم يأت أعوانى بإنسي من الغابة ؛ كأنهم قلوا من الصعود والفضول

غادر الضيفان القصر بعد العشاء وهما يطمعان بسماع الجواب قريبا.

دعت الأميرة لوزا وقيمة القصر وجاريتها الخاصة ، وسمعها لوز تتحدث عن سبب قدوم شقيقها وابن عمها ، فتألم لوز وقال : أترغبين بالزواج منه؟

قالت : ما رأيك أيها الإنسان ؟

قال مرتبكا : عفوا مولاتي ! ما أنا إلا خادم .

قالت : لك سنوات تعمل في أملاكنا فصرت منا، ولا بد من زواج .

قال مرددا: لابد من زواج ! زوجيني جاريتك هذه.

قالت ضاحكة : أتحبها يا لوز؟

قال : أنا أحبك أنت! لكنك أميرة.

ضحكت النساء وقالت القيمة : قد يقتلك الجن لو تزوجت أميرة.. والجارية صعب زواجك منها القانون يمنع ذلك

قالت الأميرة : انصرف يا غلام .وادركت تعلق الأسير بها فقالت للنسوة بعد ابتعاده : يحبني الإنسي يا أم اليسر!

قالت : فقد عقله يا مولاتي يرغب بالجارية !

رفضت الجارية فكرة الزواج والاقتران بأسير من جنس الإنس .

قالت الأميرة : الخلق بحاجة لزواج.

قبلت الأميرة الزواج من ابن عمها بحديثها مع الشقيق الأكبر وبدأت الإعدادات لإعلان الزواج وإشهاره للملأ ، وعرضت الأميرة على لوز عتقه ، وإرجاعه لكفر الذرة فرفض العرض ، وأصر على البقاء في قصرها ، فاستغربت تعلقه الشديد بها ، وعشقها المبرح ونقل للعمل في البساتين ورحلت إلى قصر زوجها ابن عمها وقضت ثلاث سنوات حليلة له وعلم ابن العم أن زوج الملكة يتودد إليها فلامها في ذلك.

فقالت: اكشف أمره للملكة وأنا عاجزة عن منعه وهو غير مقتنع أنني هجرت حبه.

علمت الملكة برسائل زوجها الخفية للأميرة ، وحاول الإنكار ؛ولكن جاريته أقرت بنقل رسائل للأميرة فأمرت بحبسه وتطلقت منه وأمرت بنفي الأميرة حتى يموت زوجها فطلقها ابن عمها خشية تعرضه للقتل والأذى وغادرت البلاد بسلام .

وبعد زمن دخلت البلاد سرا والتقت بلوز الذي توسل بالزواج منها، فرفضته وأمرت قيم قصرها بنقله لبلاده كفر الذرة ،ولما استيقظ وجد نفسه على أطراف القرية .

عشقت ابنة الحداد الشاب بلوطا ، وطلبت من أبيها أن يزوجه إياها ، فهدد أبوها بقتله أو رميه في غابة الوحوش وامتنع بلوط من العمل في البستان ، وكانت البنت تهدد بقتل نفسها إن لم تزوج من الأسير بلوط وأنها مستعدة للذهاب والعيش في بلاد الانس .

وأصر الحداد عسيران على الرفض ، وتدخلت الأم وحببت لزوجها زواج ابنته من بلوط ووصلت الأم بالتلويح بالطلاق إن لم يحصل الزواج ، وبعد سنوات لان الحداد عسيران وأنكح وحيدته من بلوط . وعاش معهما بلوط بسعادة ولما توفي الحداد بانتهاء الأجل أمرت أمها الأرملة بنقل بلوط إلى كفر الذرة خشية اغتياله والفتك به من أقارب عسيران لتزويجه ابنته لأنسي ، فقام احد أبناء أخواتها بالمهمة ، ووعد بالتحاق جنيته به على اثر وفاة الأم ، وهذا ما حصل في النهاية ، وكانت الجنية ترسل المال لبناء بيت خاص بهما وتذكره الناس الذين ادركوه شابا يافعا قبل ثلاثين سنة.

وزاره لوز وتعرفا على بعضهما بعد كل هذه السنوات ، وتذكروا أن رفيقا ثالثا رافقهما ثالثا في الصعود إلى جبل وغابة الجن ، وفرح لوز بتمكن الشاب بلوط بالزواج من جنية وينتظر مجيئها بعد موت أمها ، وأسف بلوط لفشل لوز بنكاح جنية في بلاد ومدن الجن .

أما خوخ فعمل مع الفران والخباز فلوان سنوات بعد سنوات ، وكان الفران قد زوجه ابنته قبل وفاته أثر مرض دهمه ، ثم انتقل خوخ للعمل مع خبازي قصر الملك بعد وفاة الفران ، وكان ابن عّم الفران خباز في القصر الملكي .

ولما مرض خوخ مرضا شديدا حقق له ابن العم رغبته بالعودة لقريته بصحبة ابنة ابن العم وقد قبلت بالرحيل معه، وأعطاها مالا كثيرا لبناء بيت يليق بها في بلاد الإنس ، ودفع إليها عددا من الحمام الزاجل لتتواصل معه.

ولما وصل القرية تفاجأ بأحوال القرية المتغيرة وأصابته الدهشة بلقاء لوز وبلوط وفرح بزواج بلوط بجنية مثله ،وأقام بيتا بجوار بيت بلوط ليكون جارا له ولما تعود زوجة بلوط تجد جنية تعيش بجوارها .

بينما لوز في أرض والده يعمل أخبره أحد الفلاحين أن امرأة ترغب بالحديث معه فذهب لمقابلتها ؛ فإذا هي الأميرة المنفية ، فقبل يديها كما كان يفعل ، وعلم أنها أتت لتتزوج منه، فقبل قدميها ، وأعطته المال لإنشاء القصر والبستان ،وحين ينتهي العمل سيتزوجان وفرح

صديقاه خوخ وبلوط بهذا الخبر ، ونشط ببناء القصر قصر الزواج ، وقد حقق حلمه بالزواج من جنيات غابة الجن كما كان يسمع حكايات قمع عن جنيات جبل الجن كما سعوا لذلك قبل ثلاثين سنة بالصعود لجبل الجن .



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

كفر الذرة

كفر الذرة


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة